

من مشاكلنا الحاضرة

سؤال...

للأستاذ علي الطنطاوي

كنت أسمع من أبي والأشياخ من أهلي أنه كان في بلدنا — فيما كان فيها من أوقاف كثيرة — وقف على المشتغلين بالعلم والمنقطعين إليه . يفتحون لهم بريعه المدارس الواسعة ، ويعدون لهم الغرف المفروشة ، ويهيئون لهم فيها المكتبات القيمة ، ويقيمون لهم الخدم ويقدمون إليهم كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب وحلية ومتاع ، ويفرغون قلوبهم من كل هم إلا هم الدرس والبحث ، فكان الناس يرغبون في العلم ، ويقبلون عليه ويبرزون فيه ..

... ثم ذهب ذلك كله بذهاب أهله . وخلف من بعدهم خلف أضعاف الأوقاف ، وأكلوا أموالها ، قهدمت هذه المدارس ، وأمس خرائب واطلالا . ثم سرقتها الناس فحولوها بيوتاً ، وطمؤوا آثارها ...

فأعرض الناس عن العلم وزهدوا فيه ، فقلنا : لا بأس ، إنها قد تحول تلك المدارس الى دور عجيبة ، وقد تصير أحيانا ملجأ كسالى ، ومأوى عاطلين ، وعندنا المدارس الجديدة ، تسير على منهج مقرر ، ونظام معروف ، وطريق واضح ، فما نحن إلا كمن أضع درهما ووجد ديناراً . وأقبلنا على هذه المدارس ، إقبال العطاشى على المنهل الصافى . ومنينا أنفسنا بكل جليل وجميل ولكننا لم نلبث أن خرجنا منها . وواجهنا الحياة حتى علنا بأنها لم تقم بما كان يرجى منها ويجب عليها ... ووجدنا أننا لا نصلح في هذه الحياة إلا لشيء واحد ، هو (الوظيفة) ؛ أما العمل الحر ، والمغامرة في الحياة فنحن أبعد ما يكون امرؤ عنه ؛ ووجدنا سبيل الوظيفة مسدوداً وكراستها مملوءة ؛ وكيف لا تكون كذلك وكل الناس يسعى إليها ويريدها ؟ هل يكون أبناء الشعب كلهم موظفين ؟ فكنا واحداً من رجلين : اما الفنى الموسر

ابن القسيس قصة قس وبكفيلد التي ليست إلا حكاية عهد نشاته في أسرته ، ثم يكتب تشارلز دكنز في القرن التالى قصة صباه في كتابه دافيد كوبرفيلد ؛ ثم تزداد الذاتية بروزاً ويرفع الأدباء حجاب التخفى وينبذون الأسماء المستعارة ، فيكتبون قصص نشأتهم ومذكرات رجولتهم وينشرون رسائلهم وتراجهم الشخصية ، والأدب الانجليزى المعاصر حافل بآثار هذه الذاتية السافرة

وقد امتازت بالذاتية الواضحة ، أو الانانية الأدبية ، كثير من الأدباء الانجليز ، كانوا لا يملون التأمل في نفوسهم والتحدث عن ذواتهم صراحة أو تحت غشاء شفاف : فلتون يعرض لكوارثه وعماه ومبادئه السياسية والدينية والاجتماعية في ملاحه الثلاث ، وورد زورث يؤلف المطولات الشعرية في تصوير صباه وخواطره من طفولته إلى كهولته ، ويرون ينظم القصيدة تلو القصيدة ويصور البطل تلو البطل ، ولا يزيد أن يتحدث عن نفسه وميوله وآرائه ، وشلى يسمى نفسه « اربيل » باسم إله إغريقى ، ويكتب عن نفسه تحت ذلك العنوان أشعاراً ، وكل من هازلت ولام يصور تصويراً دقيقاً أميناً ما يحس عند خروجه للرياضة على الأقدام أو حين سماعه التوافيس تتجاوب مؤذنة بآتهام العام أو نحو ذلك

ومن جهة أخرى نرى أدباء من أمثال جراى وكولردج ورسكن يستترون وراء حجاب من الوقار والتفكير الهادىء الشامل ويتحدثون مصورين أو قاصين أو ناقدين ، عن غيرهم من رجال التاريخ والأساطير وأعلام الفن والأدب ، فأكثر آثار هؤلاء موضوعية ، وأكثر مؤلفات الأولين ذاتية ؛ كما كان من الأدباء من أخذوا من كلا الضريين بنصيب وافر ، ومن برزوا في مجال الشعر والنثر ، ومن أنهموا حياتهم الأدبية باصدار تراجمهم الشخصية ، ومن خلفوا في النقد آثاراً تبارى آثارهم في النظم والانشاء ، أو تفوقها ، مثل دريدن وماكولى وماثيو ارنولد

وبعد بعض المغالين تزايدت هذه النزعة الذاتية في الأدب الانجليزى علامة ضعف وانحلال ، ولا شك أن غلبة أحد العنصرين الذاتى أو الموضوعى على الأدب من دلائل نقصه ، وإنما يكون رقيه مقترنا برقى العنصرين فيه معاً . يدل ما فيه من آثار الذاتية على صدق الشعور وعمق التأمل وتميز الشخصيات ، ويدل ما فيه من آثار الموضوعية على شمول النظرة واتساع أفق التفكير وتناول الأدب لمختلف نواحي الحياة ؟

فخرى إبراهيم السعوى

«تصويب» جاء في العدد الماضى من ٤٠٩ س ١٥ : وأعدوا لهم ما استطعتم من عدة ، والصواب من قوة .

أن عليهم واجباً تلقاهم ، حتى إذا قضوا قاموا يطنطنون بذكرهم
ويشيدون بمواهبهم ، ويركبون على قبورهم ليقولوا للناس :
أنظروا اليها ...

هذه هي علة الشرق .

إني عهدتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
ورحم الله القاضي عبد الوهاب المالكي ، خرج من بغداد -
خروج لوداعه عشرون ألفاً ، يكون وينتحبون فقال لهم : يا أهل
بغداد ، والله ما فارقكم عن قلبي والله لو وجدت عندكم عشاء
ليلة ما فارقكم ، وهم يكون وينتحبون ويصرخون : إنه يعز
علينا فراقك ، إنا تفديك بأرواحنا ، يا شوقنا إليك يا مصيبتنا
بفقدك ... !

هذه هي المسألة ... أفليس هناك طريقة لانقاذ الدماغ من
المعدة ؟ لانصاف العلم من المال ، لحماية النبوغ من الضياع ؟
من يشتغل بالعلم والدرس والكتابة والتأليف إذا كان -
الفقراء لا يطبقونه ، والأغنياء لا يحسنونه أكان لزاماً على من
يشتغل بذلك أن يموت من الجوع ؟ ألا يستحق هذا المسكين
بطريقة من الطرق ، بقانون من القوانين ، عشرين ديناراً ،
ياخذها موظف جاهل خامل بليد ، لا يحسن شيئاً إلا التفاهة
والالتباسات والوساطات ، ولا ينفع الأمة معشار ما ينفعها
هذا الذي يذيب دماغه ، ويحرق نفسه ، ويعمى بصره ، وينفق
حياته في النظر في الكتب ، والخط بالقلم ؟

أما في ميزانية الدولة ، أما في صندوق الجمعية ، أما في مال
الجريدة ، ما تشتري به آثار هذا الكاتب ، وأشعار هذا الشاعر ،
وبحوث هذا العالم ، بالثمن الذي يعدل ما بذل فيها ، ليعيش
فيصنع غيرها

هذه هي المسألة !

هل يجب أن يموت النابغ لأنه نابغ ، ويعيش الاغبياء
والجاهلون ؟ أم يجب عليه أن يموت نبوغه ليعيش ، ويبيع عقله
وذكاءه برغيف من الخبز ؟

على الطنطاوي

(بغداد)

فعاش بمال أبيه . وأقام منه سوراً حوله . فلا يرى الحياة ،
ولا تصل إليه بالأمها ومصائبها . وأما الفقير فيتخبط في
لجّة اليم : يم الحياة تضربه بأموالها ، فلا ينجو من لطمه إلا
إلى لطمه ، ولا يخلص من شقاء إلا إلى شقاء .

وقد يكون في هؤلاء الفقراء موهوبون ، وقد يكون فيهم
ذوو الملكات ، وفيهم من إذا استراح من هم العيش واشتغل بالعلم
برز فيه وبرع ، ونفع أمته ووطنه وخلف للأجيال الآتية تراثاً
عليها نغماً كالذي خلفه لنا الأجداد ... فماذا يعمل هؤلاء ؟ ومن
أين لهم العقل الذي يدرسون به ، والهمة التي يؤلفون بها ،
وعقولهم ضائعة في البحث عما يملأ معدنهم الجائعة ، ويستتر
أجسادهم العارية ، وهمهم مصروقة إلى ضمان الكفاف ،
والحصول على ما يتبلغون به ؟

لقد قال الشافعي رحمه الله منذ الزمن الأطول : لو كلفت
شراء بصلة ، ما تغلبت مسألة ... فكيف يتعلم ويدرس ويؤلف
من يكلف شراء الرغيف ، وشراء ثمن الرغيف ؟

إني أعرف كثيرين ممن يؤمل لهم أن يبرعوا في الأدب ،
ويتفوقوا في العلم ، قدر الله عليهم الفقر والافلاس ، وعلق
بأعناقهم أسراً عليهم إعالته ، والسعى في إعاشته ، فآلقوا القلم
والقرطاس ، ورموا الدفتر والكتاب ، وخرجوا يفتشون عن
عمل ... يطلبون وظيفة ؛ غير أن الطريق إلى الوظيفة وعمر ملتو
طويل ، لا يقدر على سلوكه ، ولا يبلغ غايته ، إلا من حل معه
تميمة من ورق (البنكنوت) يحرقها أمام أبواب الرؤساء
لتخرج شياطينها فتفتح له الباب . أو صحب معه (الشفيح العربي)
وأن من هذين الشاب النابغ المفلس الشريف ؟ ثم إنه إذا بلغ
الوظيفة وجدها لا تصلح له ولا يصلح لها ، وضائق به
وضائق بها !

أعرف كثيرين من هؤلاء . يظهرون فجأة كتاباً مجددين ،
وشعراء محسنين ، وعلماء باحثين . فهاهي إلا أن تنزل بهم الحاجة
وتنسخ عليهم (هموم الخبز) حتى تقطعهم عما هم فيه ، ثم تذوي
ملكاتهم وتجنف قرائحهم وتركهم يموتون على مهل ، ويموت
بموتهم النبرغ ، وأرباب الأقلام وأصحاب الصحف يشهدون
مصارعهم في صت وإعراض ، لا يهتمون بهم ، ولا يظنون